

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

(فيا رب فاترك لي جُهِيمَةً أَعْمُرًا ... فَمَالِكُ مَوْتٍ بالقضاء دَهَانِي) - الطويل
- هذا رجل مات نساؤه شيئاً فشيئاً فتطلّمت من مَلَاك الموت .

وحقيقة لفظه غلط وفاسد وذلك أن هاذ الأعرابي لما سمع يقولون مَلَاك الموت وكثر ذلك الكلام سبق إليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عنده كأنها فعل لأن ملكاً في اللفظ في صورة فَلَاكٍ وحَلَاكٍ فبنى منها فاعلاً فقال : مَالِكُ مَوْتٍ وعدّى مالكاً فصار في ظاهر لفظه كأنه فاعل وإنما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل ما فل كما أن مالكاً على التحقيق مَفَلٍ وأصله مَلَأُكُ فألزمت همزته التخفيف فصار ملكاً .

فإن قلت : فمن أين لهذا الأعرابي مع جفائه وغلط طبعه معرفةُ التصريف حتى يبني من ظاهر لفظ مَلَاكٍ فاعلاً فقال مالك .

قيل : هَبْهُ لا يعرف التصريف أتراه لا يحسن بطبعه وقوّة نفسه ولطف حسه هذا القَدْر !
هذا ما لا يجب أن يعتقده عارف بهم آلف لمذاهبهم لأنه وإن لم يعلم حقيقة تصريفه بالصَّذْعَةِ فإنه يجدها بالقوّة ألا ترى أن أعرابياً بايَعَ على أن يشرب عُلْبَةً لبن لا يتنحج فلما شرب بعضها كدّسه الأمر فقال : كبش أملح فليل له : ما هذا تنحنحت ! فقال : من تنحنح فلا أفلح أفلا تراه كيف استعان لنفسه ببحة الحاء واسْتَرْوَحَ إلى مُسْكَةِ النفس بها وعلّلها بالصَّوَيْتِ اللاحق في الوقت لها ! ونحن مع هذا نعلم أن هذا الأعرابي لا يعلم أن في الكلام شيئاً يقال له حاء فضلاً عن أن يعلم أنها من الحروف المهموسة وأن الصوت يلحقها في حال سكونها والوقف عليها ما لا يلحقها في حال حركتها أو إدراجها في حال سكونها في نحو بحر ودحن إلا أنه وإن لم يحسن شيئاً من هذه الأوصاف صَدْعَةٌ ولا علماً فإنه يجدها طبيعة ووهماً فكذلك الآخر لما سمع ملكاً وطال ذلك عليه أحسّ من ملك في اللفظ ما يُحسه في حَلَاكٍ فكما أنه يقول أسود حالك قال هنا من لفظ ملك مَالِكُ وإن لم يدّر أن مثال ملك فَعَلٍ أو مَفَلٍ ولا أن مالكاً فاعل أو ما فل ولو بنى من ملك على حقيقة الصنعة فاعل لقليل لائك كبائك وحائك .

قال : وإنما مكّنت القول في هذا الموضوع لِيَقْوَى في نفسك قوّة حس هؤلاء